كتاب مجلة " كلمة حق " (١٠)
هدية العدد (٢١) من مجلة " كلمة حق " ابريل - ٢٠١٩



مختصر كتاب

الاستراتيجية وتاريخها في العالم

ليدل هارت

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في "مجلة كلمة حق" بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة
كلمة حق

القسم الأول

الاستراتيجية من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الثاني بعد الميلاد

الفصل الأول

التاريخ تجربة عملية

يقول الحمقى: إنهم لا يتعلمون إلا من تجاربهم الخاصة، أما أنا فأفضل الإفادة من تجارب الآخرين، قال بسمارك هذا القول المأثور الذي ينطبق على المسائل العسكرية مثل انطباقه على الأمور الأخرى، وهناك نوعان من التجربة: نظرية وعلمية.

تكشف مقولة بسمارك عن نوعين من التجربة العملية، هما التجربة المباشرة والتجربة غير المباشرة، وقد تكون الثانية أفضل من الأولى؛ لأنها أكثر شمولاً واتساعًا، وينطبق هذا الأمر على كافة الأمور العملية، وعلى الخدمة العسكرية بشكل خاص، وخلافًا لمهنة الجندية تفسح -مثلاً- مهنة الطب مجالاً أوسع للتجربة الدائمة، ومع ذلك يرجع أكثر الفضل في تقدم الطب والجراحة للعلماء والباحثين في المعامل والمختبرات لا للأطباء العاملين في المهنة.

والتجربة المباشرة محدودة بطبيعتها، ولا تتيح قاعدة متينة للعلم النظري، أو تطبيقاته العملية، ولكنها تخلق الجو الملائم لتثبيت أي خطوة فكرية.

وتمتاز التجربة غير المباشرة باتساع مجالها وتنوع أشكالها.

"التاريخ هو التجربة الشاملة"، وليس التاريخ تجربة فرد واحد، بل حصيلة تجارب عدد لا نهاية له من الأفراد الذين تعرضوا لظروف متنوعة، هذا هو الدافع الجوهري لاعتبار التاريخ العسكري أساسًا للتدريب العسكري، يحمل في طياته قيمًا عملية هامة لتنمية القادة العسكريين فنيًّا وفكريًّا.



الفصل الثاني

الحروب الإغريقية

ايبامينونداس، فيليب، الإسكندر المقدوني

يمكن البدء بدراسة الصراع المسلح ابتداء من الحرب الكبيرة في التاريخ الإغريقي، على أننا لا نأمل استنباط كثير من الدروس في فترة الطفولة الاستراتيجية هذه.

كان الاجتياح الفارسي في عام 094 ق.م عبارة عن هجوم قليل المدى محدود الاتساع، غايته تلقين أرتيري وأثينا -المدينتين اليونانيتين الضعفيتين- درسًا قاسيًا، وإجبارهما على الاهتمام بشؤونهما الخاصة بدلاً من دفع الرعايا اليونانيين في آسيا الوسطى للثورة ضد الفرس.

وتم تدمير أريتري وتهجير سكانها إلى الخليج العربي، ثم جاء دور أثينا، وكانت جماهيرها تنتظر التدخل الفارسي ليدعم موقفها ضد طبقة النبلاء.

وبدلاً من التدخل المباشر عمد الفرس إلى مناورة غايتها جذب الجيش الأثيني نحوهم؛ ليفسحوا المجال لأنصارهم للاستيلاء على السلطة من داخل المدينة بعد خروج القوات الأثينية منها، بدلاً من القيام بهجوم مباشر يقوي وحدة كل العناصر المختلفة في المدينة، ويعيق حدوث الانقلاب فيها.

ونجحت خطة الفرس، وسار جيش أثينا لمقابلتهم، وانطلق الأسطول الفارسي لتنفيذ الجزء الثاني من الخطة، لكن فطن الأثينيون للأمر وارتدوا بسرعة إلى أثينا، وتم إنقاذ العاصمة بفضل سرعتهم وتردد الجماهير التي فقدت الأمل فلم تقدم على مساعدة الفرس، الذين انسحبوا عائدين إلى آسيا.

في عام 481 ق.م تكررت محاولة الفرس، الذين قرروا هذه المرة بقيادة ملكهم كسيركسيس استخدام الهجوم المباشر، وكان الجيش ضخمًا للغاية مما تعذر نقله بحرًا، فتم نقله عن طريق البر، والاستعانة بالأسطول في تموين الجيش، وهكذا ارتبط الجيش بالشاطئ وارتبط الأسطول بالجيش، وغدا كل منهما خاضعًا للآخر، فعرف اليونانيون اتجاه الهجوم الذي سيسلكه العدو بصورة أكيدة.

ونجح اليونانيون في ضرب الأسطول الفارسي وتفتيت قوى الغزو، بينما وقف كسيركسيس وجيشه على البر ينظرون مكتوفي الأيدي إلى عملية تحطيم أسطولهم ووسيلتهم الأساسية في التموين.

ويعود نجاح هذه المعركة البحرية إلى حيلة في حد ذاتها أسلوب من أساليب الهجوم غير المباشر؛ إذ وجه تيمستوكل - قائد أثيني- خطابًا لكسيركسيس يبلغه فيه استعداد الأسطول اليوناني للانضمام إليه، وخدعت الحيلة كسيركسيس ودفع بالأسطول الفارسي في ممرات ضيقة فأفقده قيمة تفوقه العددي.

ولعل امتناع الفرس عن التدخل في شؤون اليونان بعد هذه المعركة مدة سبعين عامًا، راجع إلى قدرة اليونانيين على القيام بهجوم غير مباشر على شكل تهديد مواصلات خصومهم.

كان سقوط إمبراطورية أثينا بداية مرحلة جديدة في تاريخ اليونان باحتلال إسبرطة سدة الرئاسة بين بقية المدن اليونانية، فما هي العوامل التي أثرت بعد ذلك على مصير إسبرطة وأنهت تفوقها؟

إن العامل الأساسي -ولا شك- كان ظهور القائد ايبامينونداس وتفوقه في فن الحرب، فقد أهمل نهائيًّا جميع الطرق التكتيكية القديمة، ووضع أسسًا جديدة للتكتيك والاستراتيجية. والاستراتيجية العليا بنى عليها القادة بعده فنًّا حربيًّا حديثًا، فقد وضع ايبامينونداس في معركة لوكتر معظم قواته وأكثرها استعدادًا على جناحه الأيسر مخالفًا بذلك القواعد التقليدية، وترك قلبه وجناحه الأيمن ضعيفًا نسبيًّا، فحصل بذلك على تفوق ساحق مقابل أحد أجنحة العدو الذي يقف فيه قادتهم وتستند إليه تشكيلاتهم.

كما استخدم الهجوم غير المباشر بشكل متنوع؛ إذ كان يقسم جيشه إلى ثلاثة أرتال متفرقة ومتجهة لهدف واحد، مما خدع العدو وبلبل أفكاره، فلم يعرف اتجاه وأهمية الخطر. في عام 338 ق.م جرت معركة حاسمة أعطت مقدونيا التفوق على جميع المدن اليونانية؛ فقد تقدم جيش فيليب نحو الجنوب وفجأة غير اتجاهه، وهاجم مدينة إيلاتة وحصنها، ولقد أثبتت الحوادث فيما بعد أن التصرف بهذا الشكل منذ بداية المعركة والتبديل السريع للاتجاه دليل على وجود أهداف سياسية جريئة.

كما طبق فيليب استراتيجية جديدة ضد الأثينيين فتظاهر بالتراجع أمامهم، مما جذبهم

خارج مواضعهم، وأجبرهم على الاندفاع لاحتلال الأرض التي تركها، وما إن تم خروجهم حتى قام بهجوم معاكس شتت شملهم، وسيطرت مقدونيا على اليونان.

انتهت حياة فيليب قبل أن يمد فتوحاته إلى آسيا، وكان على ابنه الإسكندر تنفيذ مخطط والده، وورث الإسكندر المخطط وأداة التنفيذ النموذجية، وهي الجيش الذي دعمه فيليب وعززه، علاوة على فكرة استراتيجية عليا.

يكشف التحليل التاريخي لخريطة تحرك الإسكندر أن معظم هذا التقدم غير المباشر سياسية وليست استراتيجية، وسياسية هنا تعني استراتيجية عليا، ولقد كانت استراتيجيته الإدارية والتموينية في معاركه الأولى مباشرة وبدون عمق، ويمكن تفسير ذلك بأن الإسكندر الشاب المؤهل للملك والمعد لكل انتصار، كان يملك صفات البطل الأسطوري أكثر من أي قائد مشهور في التاريخ، فضلاً عن ثقته الكبيرة بتفوق جهازه الحربي وامتياز قيادته، ولم يترك له كل هذا مجالاً للتفكير بضرورة تحطيم التوازن الاستراتيجي المعادي قبل المعركة، لذا تفيد معاركه في دراسة الاستراتيجية العليا والتكتيك فقط.

الفصل الثالث

الحروب الرومانية

هانيبال، سيبيون، يوليوس قيصر

لعبت الحرب الطاحنة بين روما وقرطاجنة -مدينة قرب تونس- خاصة معارك هانيبال دورًا حاسمًا في تاريخ أوروبا سواء أكان ذلك بنتائجها المباشرة أم البعيدة.

بدأت المرحلة الأولى للصراع عندما غزا هانيبال إيطاليا 218 ق.م بعد أن اجتاز إسبانيا وعبر جبال الألب، وانتهت هذه المرحلة بانتصاره الساحق في بحيرة ترازيمين، ولم يبق لروما ما يحميها بعد هذه الهزيمة سوى أسوارها وحاميتها الخاصة، وغدت المدينة مفتوحة تقريبًا أمام أي هجوم مباشر يقوم به هانيبال لو فكر في القيام بذلك.

كلف الرومانيون القنصل بوبليوس سيبيون بمهمة منع هانيبال من اجتياز نهر الرون، ولكن القرطاجيون اجتازوا النهر فجأة من ناحية منبعه، وتوغلوا في اتجاه الشمال سائرين في وادي نهر الليزير الوعر بدلاً من اجتياز الريفيرا السهلة التي يستطيع الرومانيون إغلاقها. اتخذ سيبيون قراره بسرعة، فترك خلفه جزءًا من الجيش وتراجع بسرعة إلى إيطاليا عن طريق البحر، واستطاع ملاقاة هانيبال عند سهول لومبارديا، وهنا كانت الأرض في صف القرطاجيين؛ لأنها تؤمن استخدام خيالتهم المتفوقة على خيالة الرومان، ونجم عن ذلك انتصار القرطاجيين، وكان لهذا الانتصار تأثير معنوي كبير، وأكسب هانيبال سيلاً من المتطوعين مع إمكانية تموينية كبيرة.

بعد ذلك تحرك هانيبال بجيشه نحو أترورى، لكنه بدلاً من سلك الطريق المعتاد قرر سلك طريق المستنقعات الصعب، وشعر قادته بالقلق.

يفضل العسكري دائمًا مواجهة المعروف بدلاً من مواجهة المجهول، ولكن هانيبال قائد حربي غير عادي، لذا نجده اختار كأقرانه من القادة العظام اجتياز المخاطر في ظروف مجهولة، بدلاً من ملاقاة العدو على الأرض التي اختارها.

ثم نصب هانيبال أكبر كمين ناجح في التاريخ، ففي ضباب الصباح سقط في الفخ الجيش

الروماني الذي كان يلاحق هانيبال، وهاجمه القائد القرطاجي من الجبهة والمؤخرة في آن واحد فتمت إبادته.

ويمكن استنتاج الدرس الأساسي من تلك المعركة: "إذا ما خدع الجيش وأحبطت مناورته، سقط الجيش كله في يد عدوه كما تسقط الباخرة مع كل بحارتها بعد فقدان قبطانها". بدأت المرحلة الثانية بهجوم روماني غير مباشر، يلائم في الحقيقة النفسية الإغريقية أكثر من النفسية الرومانية، ولقد عرف هذا الهجوم في التاريخ بعد ذلك باستراتيجية فابيوس، التي حاول الكثيرون فيما بعد تقليدها دون نجاح كبير، ولم تعتمد استراتيجية فابيوس على تجنب المعركة لكسب الوقت فحسب، بل استخدمت التأثير التخريبي على معنويات العدو وحلفائه المتوقعين والمحتملين، وكانت على مستوى سياسة الحرب والاستراتيجية العليا.

كان فابيوس يعترف بتفوق هانيبال العسكري، فلم يجازف بمنازلته عسكريًّا، وكان يتحاشى الاشتباك معه في معركة حاسمة، ويحاول الاستفادة من الوقت لقتل حيوية واندفاع القوات الغازية، مستعينًا على ذلك بهجمات صغيرة محلية كوخزات الإبر، وكان يمنع العدو من تطويع الوحدات الجديدة في المدن الإيطالية، ويعرقل وصول النجدات من قواعد العدو في قرطاجنة.

وكان على الجيش الروماني إذا أراد النجاح لاستراتيجيته العليا أن يناور في أرض صعبة تفقد خيالة قرطاجنة أهمية تفوقها الذي قد يكون حاسمًا، ويمكن التعبير عن هذه المرحلة بأنها صراع بين هجومين غير مباشرين: هجوم هانيبال وهجوم فابيوس.

أثرت عمليًّا فابيوس الخاطفة على هالة النصر التي أحاطت بتقدم هانيبال، وحصنت فابيوس ضد الهزيمة، وسدت السبل أمام تأثير انتصارات هانيبال القديمة وخاصة عند الإيطاليين حلفاء روما الذين فكروا من قبل في الانضمام إلى القرطاجيين.

ورفعت هذه المعارك المشابهة لمعارك العصابات معنويات الرومان، بينما خفضت معنويات القرطاجيين الذين دفعهم بعدهم عن بلادهم إلى البحث عن نصر سريع.

لكن حرب الإنهاك سلاح ذو حدين، وتنتهي غالبًا بإتعاب القائمين بها، حتى في حالة استخدامها بمهارة، وهي قاسية جدًّا على الجماهير التي ترغب دائمًا في انتهائها بسرعة، لذا فإن استمرار النضال على طريقة فابيوس جعل الشعب الروماني يتلقى الصدمة تلو الصدمة، فلا يبرأ جرحه حتى يصاب بجرح جديد، وبدأ الشك في صلاحية طريقة فابيوس

يتسرب إليهم، وبدأ قادة الجيش في انتقاد فابيوس علنًا، واستطاع مينوسيوس مساعد فابيوس السيطرة على الأمر واستلام زمام الأمور، واستطاع هانيبال جذبه إلى كمين رهيب لم ينقذه منه سوى تدخل فابيوس في آخر لحظة.

تولى قيادة الجيش القنصل قارون الأحمق الذي ساهم قبل ذلك في تعيين مينوسيوس، وزاد الطين بلة قرار مجلس الشيوخ بضرورة إجراء المعركة ضد هانيبال دون تأخير، ولقد دفع الرومان فيما بعد ثمنًا غاليًا لاختيارهم قائدًا يتمتع بتفكير هجومي غير متسم بالحكمة.

واشتبك قارون مع جيش هانيبال، وقام هانيبال بخدعة حربية بفتح ثغرة وهمية اندفع خلالها الرومان ظنًّا منهم هزيمة هانيبال، لكن فجأة وجدوا أنفسهم داخل المصيدة، فأسقط في يدهم، وانقلبت المعركة إلى مجزرة، وترك الرومان على أرض المعركة ما لا يقل عن 70 ألف رجل من جيشهم المكون من 76 ألف.

أدت هذه المعركة إلى تفكك الاتحاد الإيطالي، وكادت أن تذهب روما نفسها، وهنا قام فابيوس بدور جديد لرفع معنويات الشعب ودفعه إلى المقاومة، ويعود إنقاذ المدينة إلى إصراره على تطبيق استراتيجية كسب الوقت.

ولم يستطع هانيبال استثمار النصر لنقص وسائل الحصار والنجدات اللازمة، كما لم تكن البلاد التي اجتاحها متقدمة اقتصاديًّا لتعطيه ما يريد، ويختلف الموقف هنا عن موقف سيبيون عندما غزا إفريقيا فيما بعد، ووجد فيها بلاد الحضارة القرطاجية الأمر الذي عزز مركزه وأعطاه ميزات كثيرة.

انتهت المرحلة الثانية لهذه الحرب في عام 207 ق.م بهجوم غير مباشر جديد في شكله، عندما هاجم القنصل نيرون في شمال إيطاليا جيش يقوده شقيق هانيبال ودمره مما حرم هانيبال من الحصول على الإمدادات اللازمة لنصره النهائي.

في المرحلة الثالثة توقفت العمليات، وتمسك هانيبال بجنوب إيطاليا خمس سنوات، وعندما غامر بعض القادة الرومان واقتربوا من عرينه عادوا فاشلين.

في 210 ق.م أرسلت روما سيبيون الإفريقي إلى إسبانيا، وكانت مناورة يائسة تشبثت خلالها روما بمركز المقاومة الضعيف الذي تملكه في زاوية إسبانيا الشمالية الشرقية، والمهددة بقوات قرطاجيّة جديدة قادمة من قواعدها في إسبانيا، واستطاع سيبيون الإفريقي بفضل سرعة حركته وروعة تكتيكه ونجاح سياسته أن يقلب الخطة الدفاعية إلى هجومية تهدد



قرطاجنة وهانيبال بصورة غير مباشرة.

كانت إسبانيا في الحقيقة قاعدة قرطاجة الاستراتيجية الحقيقة، ففيها يتم تطويع وتدريب الوحدات، ومنها تؤخذ النجدات اللازمة لمتابعة القتال، ولكن سيبيون استطاع احتلال قرطاجة بضربة حاذقة واحدة، جمعت بين المفاجأة وحسن اختيار الوقت، فحرم بذلك خصومه من قاعدتهم الأساسية في إسبانيا فتخلى عنهم حلفاؤهم وانهارت جيوشهم.

في 202 ق.م عاد هانيبال مسرعًا ليواجه سيبيون، وسار بسرعة نحو الغرب يبحث عن عدوه بدلاً من التوجه شمالاً نحو قرطاجة، وهكذا جذبه الرومان إلى الأرض التي اختاروها للمعركة في مكان لا يملك فيه هانيبال أي سند متين للمناورة، أو ملجأً يركن إليه عند الفشل، وهذا وضع صعب كان في مقدوره أن يتلافاه لو قام بالمعركة بالقرب من قرطاجة.

وصلت النجدات لسيبيون مع وصول هانيبال، وهكذا ربح سيبيون عنصريين كبيرين قبل المعركة، ثم ربح العنصر الثالث على أرض المعركة بتكتيك حرم هانيبال من استخدام تفوق خيالته، ولما فاجأ الفشل التكتيكي هانيبال لأول مرة وقف ليتحمل نتائج فشله الاستراتيجي السابق، ولم يكن عنده حصن يلتجئ ويحمي به جيشه المهزوم بدلاً من أن يعرضه للإبادة خلال المطاردة، وسقطت قرطاجة بعد هذه المعركة دون مقاومة.

إن الحرب الأهلية من عام 50 إلى 45 ق.م قدمت العالم الروماني هدية لقيصر والقياصرة، وكان الصراع على أشده بين يوليوس قيصر وبين بومبي حاكم إيطاليا وبقية ممتلكات روما، وطيلة عدة سنوات كان الصراع بينهما على أشده، واستخدم قيصر طريقة الهجوم غير المباشر، ولكن على مستوى صغير وبدون مفاجأة، لقد كان يثير في كل معركة توترًا نفسيًّا لدى العدو، ولكن دون أن يتمكن من إفنائه، ولعل سبب ذلك اهتمامه الخاص بتدمير معنويات الوحدات المعادية بدلاً من تحطيم معنويات قيادتها، ويعطينا تاريخ معاركه فكرة واضحة عن الفرق بين نوعين من الهجوم غير المباشر أحدهما مادي موجه للقوات المعادية، وثانيهما معنوي موجه لقيادتها، كما يؤكد الفرق بين الهجوم المباشر وغير المباشر، لقد فشل قيصر في كل مرة قام فيها بهجوم مباشر، ولكنه كان يصلح فشله كل مرة بالعودة إلى الهجوم غير المباشر، حتى تحقق نصره.



الفصل الرابع

الحروب البيزنطية
بيليزير، نارسيس

بعد انتصار قيصر في موقعة موندا 45 ق.م نودي به دكتاتورًا مدى الحياة لروما والعالم الروماني، وكان لهذا المنصب الجديد أثر كبير؛ لأنه تجاهل الدستور وفتح الطريق من الجمهورية إلى الإمبراطورية، وهذا عمل يطوي في ثناياه بذور دمار الإمبراطورية واضمحلالها، ولقد تم هذا الاضمحلال بشكل متدرج ومتزايد، استمر خمسة قرون منذ انتصار قيصر حتى سقوط روما، ومع ذلك فقد تابعت الإمبراطورية الرومانية بقاءها تحت شكل آخر نحو 1000 عام، ويعود طول حياة الإمبراطورية الجديدة إلى قسطنطين الأكبر، الذي نقل العاصمة من روما إلى بيزنطة سنة 330.

لكن في أواسط القرن السادس انبعثت سيطرة روما من جديد في الغرب نتيجة عمل جاء من الشرق؛ إذ قام قادة بيزنطة بالاستيلاء على إفريقيا وإيطاليا وإسبانيا الجنوبية، ويمكن اعتبار هذه الانتصارات عائدة للقائد بيليزير، كما يمكن إعطاؤها صفتين ظاهرتين: أولهما ضعف القوى التي حصل بها بيليزير على نتائج جيدة في معارك بعيدة، وثانيهما استخدام الدفاع التكتيكي بشكل دائم ونموذجي.

كان تكتيك بيليزير مبنيًّا على إعطاء الفرصة للعدو للقيام بالهجوم، ويعود اختياره هذا إلى ضعف إمكانياته من جهة وحساباته الحكيمة المبنية على معطيات تكتيكية ونفسية من جهة أخرى.

في بداية القرن السادس أصبحت الإمبراطورية الرومانية الشرقية في مركز حرج، وتعرضت جيوشها للكثير من الهزائم الساحقة على الحدود الفارسية، وغدت مواقعها في آسيا مهددة بشكل جدي.

ظهر بيليزير في تلك الأثناء وقاد هجومًا مضادًّا ضد الفرس الذين احتلوا حصنًا عند الحدود، ونجح هجومه وبدت انتصاراته باهرة أمام النتائج التافهة التي حصل عليها القادة الآخرون، مما دفع الإمبراطور جوستنيان إلى تعيينه قائدًا عامًّا لجيوش الشرق.



قام ملك الفرس بمحاولة لغزو فلسطين، وكان هدفه احتلال أورشليم أغنى مدن الشرق، ولما علم جوستنيان بذلك أرسل بيليزير لمعالجة الموقف، كان جيش الفرس ضخمًا للغاية 200 ألف مقاتل منعته ضخامته من اجتياز الصحراء؛ لذا علم بيليزير أن الجيش سيسير بمحاذاة نهر الفرات، ودخول سوريا من الشمال ثم التوجه نحو الجنوب باتجاه فلسطين.

جمع بيليزير قواته القليلة السريعة الحركة وسلك إحدى الطرق التي يمكن من خلالها تهديد جانب الجيش الفارسي من خلال أضعف نقاطه، لما علم قائد الفرس كوزورئيس أرسل لبيليزير للاستعلام عن حالة الجيش البيزنطي متسترًا تحت ستار مفاوضات الصلح، لكن بيليزير فهم الخديعة، فنثر قواته ومن انضم إليه من العرب والقوط على الطريق الذي سيسلكه مبعوث الفرس ليظن أنها مقدمة لجيش ضخم، كما قام بيليزير بعدة مناورات على طول نهر الفرات زادت الفرس وقوعًا في الفخ، ونجحت الخطة وانسحب الفرس عائدين إلى قواعدهم وراء النهر.

ساءت أحوال البيزنطيين في إيطاليا وغدت سلطة جوستنيان مهددة بالخطر من قبل القوط الشرقيين، فأرسل بيليزير لمعالجة الموقف، لكنه لم يعطه سوى أضعف الإمكانيات بسبب شحه وغيرته وشكوكه من بيليزير.

قام بيليزير بمحاولات جريئة لإنقاذ روما ونجح في صد القوط، وأرسل إلى جوستنيان طالبًا منه المدد ليستعيد باقي إيطاليا، لكن رفض جوستنيان، فطلب بيليزير الاستقالة والعودة إلى القسطنطينية فأجيب إلى طلبه.

بعد ذلك بأربعة أعوام ندم جوستنيان على ترك إيطاليا، وقرر القيام بحملة جديدة، لكنه لم يعط القيادة لبيليزير كيلا يكون حاكمًا منافسًا له، وأعطى القيادة للقائد نارسيس، الذي اشترط لقبول القيادة الحصول على جيش قوي مجهز جيدًا.

واستطاع نارسيس الوصول بجيشه إلى إيطاليا من خلال طرق غير متوقعة، وهاجم عدوه فجأة.

كان نارسيس أقوى من القوط، وهذه ميزة لم يتمتع بها بيليزير الذي كان موقفه دائمًا خلال معاركه السابقة هو الموقف الأضعف، ومع ذلك فضل نارسيس الاستفادة من مكاسب هجومه الاستراتيجي والقيام بدفاع تكتيكي تجاه توتيلا ملك القوط.

قدر نارسيس أن طبيعة القوط ستدفعهم إلى البدء بالهجوم فنصب لهم فخًّا يشبه تكتيك الإنجليز في معركة كريسي بعد ذلك بثمانية قرون أمام الخيالة الفرنسية، واعتمد



في فخه على استهانة القوط الطبيعية بالمشاة البيزنطية لضعفها أمام صدمة الخيالة، فوضع في قلب تشكيلته مجموعة من الخيالة الراجلة المجهزة بالرماح؛ ليظن العدو أنها من المشاة، كما وضع على المجنبتين وحدات من رماة النبال المشاة، وكانت خيالته موجودة خلف رملة النبل مباشرة، باستثناء مفرزة مختارة وضعها بعيدًا إلى اليسار خلف هضبة لتقوم بهجوم مفاجئ على مؤخرة القوط إذا ما توغلوا في العمق.

وحقق هذا الفخ غرضه فقامت خيالة العدو بمهاجمة قلب جيش نارسيس، وهي تظن أنه مؤلف من مشاة ضعيفة، ولكنها تعرضت خلال هذا الهجوم إلى رشقات نبال مركزة قادمة من المجنبتين، وأوقفتها صلابة دفاع جنود الخيالة المترجلين من حاملي الرماح، وتردد مشاة القوط في مساعدة الخيالة المشتبكة في القلب؛ خوفًا من التعرض لهجوم مفاجئ على مؤخرتها تقوم به مفارز الخيل رامية النبال المتمركزة قرب المرتفعات على طرفي خط القتال.

واستمر ضغط خيالة القوط فترة من الزمن، وبدأت حدته تخف، وهنا قام نارسيس بهجوم مضاد حاسم بخيالته التي احتفظ بها حتى ذلك الوقت كاحتياطي، وأصيب القوط بهزيمة نكراء، ولم يصادف نارسيس عندما قام بإعادة احتلال إيطاليا بعد ذلك إلا مقاومة ضعيفة. تبدو أهمية معارك بيليزير ونارسيس للوهلة الأولى تكتيكية أكثر منها استراتيجية؛ لأن أغلب حركاتهما كانت تقود مباشرة إلى المعركة، ولكن التحليل الدقيق لا يلبث حتى يغير هذه الفكرة الأولية، ويدلنا على أن بيليزير ابتكر جهازًا تكتيكيًّا جديدًا يعتمد عليه للتغلب على قوات أكبر من قواته، بأن يرغم خصمه على مهاجمته في ظروف ملائمة لتكتيكه، وكان يستفيد من قلة عدده ويجعلها ميزة يستفيد منها في هجومه الاستراتيجي المباشر الذي يعتمد على المعطيات النفسية أكثر مما يعتمد على العوامل الإدارية، لقد كان يعرف السبيل لإثارة الرغبة الهجومية الطبيعية لدى شعوب الغرب الهمجية، كما كان يستفيد من شعور العظمة لدى الفرس الماهرين، ولما بدأوا يخافونه استغل خوفهم وحذرهم لإحباط مناوراتهم بطريقة سيكولوجية.

لقد كان ماهرًا في استنباط القوة من ضعفه، وقلب قوة الخصم إلى ضعف، وكان في تكتيكه سمات الهجوم غير المباشر، وكان عند مهاجمة تشكيلات العدو يسعى إلى خلق ثغرة في نقطة حساسة في هذه التشكيلات مما يؤدي إلى تفتيتها كليًّا.

سأله أحد أصدقائه عن أسباب ثقته التي تدفعه إلى مهاجمة قوى أكبر من قوته، فأجابه

بأنه كشف في أول اشتباك له مع القوط سر ضعفهم الكامن في عجزهم عن استخدام عددهم الكبير بشكل كامل وبطريقة سليمة، وكانت كتلتهم الكبيرة مدعاة لفوضى كبيرة، كما أن خبرتهم في استخدام الخيالة كانت معدومة.

صنع بيليزير طريقة تكتيكه واستراتيجيته "هجومية - دفاعية" كانت السبب المباشر في إطالة حياة الإمبراطورية البيزنطية والتقاليد الرومانية التي استمرت عدة قرون كانت أوروبا تعيش خلالها في الظلام، وأثبتت التشكيلات الجديدة للجيش قدرتها على الصمود أمام هجمات مختلف الشعوب الأوروبية الهمجية، وموجات الفتح الإسلامي التي اجتاحت الإمبراطورية الفارسية، وبقيت قاعدة الإمبراطورية البيزنطية سليمة رغم ضياع الأماكن البعيدة.

في عام 1063 بدأت قوة الأتراك السلاجقة بالازدياد تحت قيادة ألب أرسلان، وفي عام 1069 أصبح القائد رومان الرابع ديوجين إمبراطورًا، فقام بمعركة هجومية بدلاً من إعادة تنظيم وتدريب الجيش للوصول إلى فاعليته المعروفة من قبل، والتي كانت قد قلت بسبب تخفيض الميزانية الحربية من قبل زمن.

اندفع رومان بجيشه الضخم بعمق في أرمينيا، وقابل الجيش التركي في مالازغيرت، وأمام ضخامة الجيش البيزنطي الجرار عرض ألب أرسلان فتح باب المفاوضات، لكن الرومان أجابوا بأن على السلطان التركي أن يترك معسكره وينسحب قبل كل مناقشة، وكانت هذه إهانة لا يمكن للسلطان قبولها، وقام ديوجين الرابع بالهجوم بدون استخدام الطريقة البيزنطية التقليدية، وبدأ يبحث عن عدو أخذ يجذبه ويختفي منه كالماء والهواء دون أن يستطيع الاشتباك معه في معركة، ولم يكن يرى من العدو سوى سحب كثيفة من السهام تطلقها عليه الخيالة الراكبة ثم تختفي، حتى ضعفت وحداته وتناقصت وتفككت تشكيلاته مما اضطره في النهاية للانسحاب.

عندئذ قام الأتراك بالهجوم على مجنباته وأحاطوا بجيشه الذي انهزم وتفرق في طول البلاد وعرضها.

كانت هذه الهزيمة كاملة وشاملة لدرجة استطاع بعدها الأتراك احتلال معظم أجزاء آسيا الصغرى، وهكذا تلقت الإمبراطورية البيزنطية صدمة قوية لم تقم بعدها بسبب جنون قائد عادي متحمس لا يسند رغباته الهجومية عقل راجح أو فكر سليم.



الفصل الخامس

حروب القرون الوسطى

يعرف طلاب التاريخ الإنجليز أهمية سنة 1066 التي جرت فيها حوادث تكتيكية واستراتيجية ممتازة كان لها نتائج حاسمة بالنسبة لذلك العصر، ولكل التاريخ الذي أتى بعده.
اجتاح غليوم الفاتح إنجلترا مستخدمًا المناورة الاستراتيجية، وحقق لنفسه منذ البداية كل مميزات ومكاسب الهجوم غير المباشر.

بدلاً من السير مباشرة إلى الشمال خدع غليوم النورماندي خصمه هارولد بتخريب مقاطعتي كنت وسوسكس فأجبره بذلك على التوجه بسرعة نحو الجنوب مع جزء من قوته، وكان توغل هارولد نحو الجنوب واشتباكه المبكر في المعركة يبعده في الزمان والمكان عن إمداداته، وكانت هذه خطة غليوم الذي حسم المعركة بفضل حركة غير مباشرة تكتيكية عندما أعطى لجانب من قواته الأمر بالتظاهر بالفرار مما أجبر هارولد على فك تشكيلاته بنفسه بغية المطاردة، وفي المرحلة النهائية قذف النورمانديون بسهامهم بزوايا رمي كبيرة، وقتل هارولد في المعركة.

ثم طبق غليوم بعد انتصاره استراتيجية ذات أهمية فلم يسر مباشرة إلى لندن، بل احتل دوفر لتأمين خطوط مواصلاته، ولما وصل لندن لم يندفع بانقضاض مباشر، بل قام بحركة التفاف واسعة دمر خلالها المناطق الواقعة شمالي وغرب العاصمة، ووجدت لندن نفسها مهددة بالجوع فاستسلمت.

وقدم القرن التالي دليلاً جديدًا على عبقرية النورمانديين العسكرية، وذلك خلال معركة من أغرب معارك التاريخ، وهي المعركة التي أدت إلى احتلال معظم أيرلندا، وصد غزو نرويجي كبير وطرد الغزاة من مقاطعة الغال، بواسطة مئات قليلة من الخيالة، وهذا نجاح باهر إذا وضع في الاعتبار ضعف إمكانيات النورمانديين الذي عرفوا كيف يتلاءمون مع الظروف عندما ألغوا استخدام الطرق التقليدية للفن العسكري الإقطاعي؛ نظرًا لوجودهم في منطقة كثيرة المستنقعات والأشجار، وقد أظهروا مهارة ودقة في خططهم عندما كانوا يخدعون العدو ويجذبونه إلى أرض مكشوفة تصلح لعمل خيالتهم، وعندما كانوا يلجأون للتظاهر بالفرار،



والخدعة والمناورة والهجوم على المؤخرات الذي كان يؤدي إلى تفتيت تشكيلات العدو بمفاجأة استراتيجية، وهجوم ليلي ورمي النبالة الذي يحطم مقاومة العدو عندما يتعذر جذبه خارج تحصيناته.

في القرون الوسطى كان الملك هنري الخامس يستخدم استراتيجية نقطة الزيت التي تعني تدعيم مركزه وتعزيز نجاحه بزيادة المنطقة المحتلة باستمرار، وجمع الأهالي الذين يكنون له الولاء، ويمكننا أن نقول: إن معارك هنري الخامس ترجع إلى الاستراتيجية العليا لا إلى الاستراتيجية العادية.

وفي حروب جينكز خان كان يقوم بشغل عدوه بهجوم نحو منطقة ما، ثم يقوم جيش آخر بالهجوم على منطقة غيرها، بعد أن يكون قد صرف نظر العدو عنها، فحين اجتاح المغول غاليسيا جذبوا انتباه البولونيين والهنغاريين والألمان وأوقع بهم سلسلة من الهزائم، بينما قام جيشه الرئيسي باستغلال هذه المشاغلة واجتاح هنغاريا.

الفصل السادس

القرن السابع عشر
غوستاف أدولف، كرومويل، تورين

وقعت في هذا القرن أول حرب كبرى في التاريخ الحديث وهي حرب الثلاثين عامًا 1618 - 1648 والتي لم تكن أية معركة من معاركها حاسمة.

وأكثر المعارك أهمية كانت المعركة النهائية بين غوستاف أدولف ملك السويد وفالنشتاين الألماني، والتي قتل فيها الأول وانتهى كل أمل في الوصول إلى تأسيس اتحاد بروتستانتي واسع تحت السيطرة السويدية، ولولا تدخل الفرنسيين ومصرع فالنشتاين لكانت هذه المعركة حاسمة، ولساعدت على تحقيق الوحدة الألمانية قبل وقوعها بثلاثة قرون.

على الرغم من ضعف جيش فالنشتاين إلا أنه قد حصل قبل المعركة على عدة مزايا كبيرة بفضل ثلاثة تطبيقات متتالية لأنواع مختلفة من العمل غير المباشر، وهذه التطبيقات غيرت شكل الحرب بشكل جذري.

حين توجه غوستاف أدولف لاجتياح بافاريا التي أرسلت تستنجد بفالنشتاين الذي تجاهل طلبها وتوجه نحو السكاسون حلفاء السويد الضعفاء، وطردهم من هنغاريا، وسار في اتجاه بلاد الساكسون بعد أن انضمت إليه قوات بافاريا، وبدا وكأنهم قد تركوا بافاريا بدون دفاعات، لكن الحقيقة كانت غير ذلك، وكانت وجهة نظر فالنشتاين في محلها، إذ إن خوف ملك السويد من فقدان حلفائه الساكسون دفعه إلى إخلاء بافاريا والتوجه للدفاع عنهم.

أمام قوة فالنشتاين والبافاريين قرر ملك السويد الانسحاب وعدم خوض المعركة، لكن خصومه تبعوه، واستطاعوا التحصن جيدًا في مكان يمكنهم منه إزعاج خطوط المواصلات السويدية بالخيالة الخفيفة، بينما يستريح باقي الجيش في أمان ويكتسب كل يوم ثقة.

حاول ملك السويد إنهاء ذلك الموقف والدخول في معركة والاشتباك مع خصومه، لكنهم لم يمنحوه الفرصة، إلى أن اضطر ملك السويد المهدد بالمجاعة إلى القيام بهجوم فاشل، أثر عليه سياسيًا بعد ذلك، وأصبحت وصايته على الدويلات الألمانية أضعف أثرًا.



الفصل السابع

القرن الثامن عشر
مارلبورو - فريدريك الثاني

تمتاز حرب الوراثة الإسبانية 1701 - 1713 بازدواج غريب في طبيعتها، لقد كان لها هدف سياسي محدود، وآخر كبير يرمي إلى تحطيم قوة فرنسا المتفوقة التي يملكها لويس الرابع عشر.

وكانت على الصعيد الاستراتيجي عبارة عن سلسلة متوالية من الهجوم المباشر والمناورة غير المباشرة دون نتائج ذات أهمية، وكان فيها رغم ذلك بعض الهجمات الناجحة غير المباشرة المتعلقة دائمًا بالقائد الإنجليزي مارلبورو.

كان الحلف المعقود ضد فرنسا حينئذ يضم النمسا وبريطانيا وهولندا والدانمارك والبرتغال وعدة دويلات ألمانية، بينما كان حلفاؤها قاصرين على إسبانيا وبافاريا وسافوا.

بدأت الحرب في شمال إيطاليا بهجوم غير مباشر نفذه النمساويون بقيادة الأمير أوجين، الذي اخترق ممرًا صعبًا بين الجبال، وقام بحركة التفاف عريضة من الشرق أربكت الفرنسيين، ودفعتهم للهجوم فهزمهم أوجين وثبت أقدامه في شمال إيطاليا.

في عام 1705 رسم مارلبورو مخططًا لغزو فرنسا، وذلك عن طريق مشاغلة القوات الفرنسية في إيطاليا الشمالية بقوات الأمير أوجين، على حين يندفع جيش الحلفاء بقيادة مارلبورو مخترقًا فرنسا، لكن نقص التموين وضعف وسائل المواصلات أفشلت المخطط.
حروب فريدريك الثاني

يمكن أن نستخلص من معارك فريدريك دروسًا كثيرة أهمهما أن طريقته غير المباشرة كانت مباشرة جدًّا، أي أنه كان يعتبر الهجوم غير المباشر مناورة بسيطة مبنية على الحركة فقط، بدلاً من أن يراها توافقًا بين الحركة والمفاجأة، وهذا ما جعله يفشل فشلاً ذريعًا رغم موهبته الفذة في تطبيق مبدأ الاقتصاد في استخدام القوى.

الفصل الثامن

الثورة الفرنسية ونابليون بونابرت

عادت فرنسا إلى الصدارة ثانية من خلال حرب كبرى تألقت فيها عبقرية نابليون بونابرت، وعادت فرنسا لتشكل -كما كانت في الماضي- خطرًا يدفع كل القوى الأوروبية للتحالف ضدها.

كان السبب الجوهري في حصول فرنسا على تلك القوة يرجع إلى مجموعة من الظروف الملائمة، والعوامل الإنسانية الفردية، وإلى الروح الثورية التي انبثقت في الجيش الفرنسي (جيش المواطنين).

وكان من الضروري تطوير الفكر التكتيكي، وتشجيع البداهة الفردية للتعويض عن النظام العسكري الدقيق، الذي كان من المستحيل تطبيقه في ظل الروح الثورية الجديدة، وظهرت تكتيكات جديدة مبنية على المرونة في الحركة، وكانت هذ المرونة تقوم على أساس بسيط هو أن الفرنسيين كانوا في ذلك الوقت يسيرون ويقاتلون بخطوة سريعة تعادل 120 خطوة في الدقيقة، بينما كان أعداؤهم يسيرون بالطريقة التقليدية بسرعة 70 خطوة فقط.

وترتب على هذا الاختلاف أن أصبح الفرنسيون قادرين على إجراء عمليات نقل سريعة للقوات من مكان إلى آخر، قبل ظهور عصر الآلة ووسائل النقل الآلية السريعة، كما أدى إلى تسهيل عمليات تجميع الوحدات للقيام بهجوم، وأصبح الفرنسيون قادرين كما قال نابليون على "زيادة عددهم بواسطة السرعة"، وذلك على الصعيدين الاستراتيجي والتكتيكي.
والعامل الملائم الآخر هو تنظيم الجيش إلى فرق مستقلة دائمة، وتقسيمه إلى وحدات تتألف كل منها من مجموعة كاملة قادرة على العمل مستقلة عن بعضها، وجاهزة للعمل بكل تعاون ضد هدف مشترك.

والعامل الثالث له علاقة بالعامل السابق، وهو خاص بموضوع التموين، فتوزيع الجيش إلى فرق أدى إلى عملية توفير وضبط التموين إلى حد كبير.

بالإضافة إلى هذه العوامل الثلاثة ينبغي أن نذكر عاملاً إنسانيًا، وهو عامل خاص كان له تأثير حاسم، ألا وهو ظهور القائد نابليون بونابرت الذي استفاد من خبرات بورسيه وجيبير وهما أعظم الكتاب العسكريين شهرة ونبوغًا في القرن الثامن عشر.

لقد أخذ من بورسيه مبدأ التشتيت المدروس، أي: دفع العدو إلى تشتيت قواته المركزة بغية توجيه ضربة قوية إليه بمركز ثقل يجمعها بسرعة.

كما تعلم قيمة الخطة ذات الفروع المتعددة، والعمل على خط يسمح بالاختيار بين عدة أهداف، ويهدد عدة أهداف في وقت واحد، هذه الخطة التي طبقها خلال معركته الأولى ونظمها بناءً على مشروع وضعه بورسيه قبل ذلك بنصف قرن.

كما تعلم من جيبير بأن الحركة والمرونة عاملان من أهم العوامل بالنسبة للجيش، وفهم مغزى تقسيم الجيش وتشكيله في فرق مستقلة، لقد وصف جيبير تكتيك نابليون قبل ظهوره بجيل كامل فقال: "إن المهارة هي في الانتشار دون إعطاء الآخرين فرصة لإمساكنا، والالتفاف حول العدو دون أن يؤدي ذلك إلى تفكيك وحدة قواتنا، والقيام بحركات متتالية ومتسلسلة على جناح العدو دون تعريض جناحنا للخطر".

ولقد استنبط نابليون فكرة طريقته وأصولها من نصيحة جيبير القائلة بضرورة تهديد مؤخرة العدو لتحطيم توازن قواته، كما أخذ منه -أيضًا- طريقة تركيز نيران المدفعية المتحركة على نقطة حساسة من جبهة العدو وفتح ثغرة فيها.

لقد أضاف نابليون الشيء القليل إلى الأفكار النظرية ووضعها موضع التنفيذ، ولو لم يطبقها تطبيقًا عمليًا لبقيت جميعها في حالة نظرية بحتة.

كان من مبادئ الحرب عند نابليون تركيز النار على نقطة واحدة، وما إن تنفتح الثغرة حتى ينهار التوازن، وما بقي بعد ذلك غير مهم على حد تعبير نابليون.

والنقطة التي يقصد نابليون التركيز عليها عند العدو تكون أضعف نقاطه وأكثرها حساسية، وقد طبق نابليون نظريته تلك في حربه الأوروبية حين قال: إن النمسا عدونا الأول، فإذا ما تم سحقها سقطت إيطاليا وإسبانيا وحدهما، يجب علينا ألا نبعثر هجماتنا، بل نركزها.

وكانت خطته تقوم على استخدام الجيش الموجود على الحدود الإيطالية النمساوية في هجوم غير مباشر ضدها، وكانت إيطاليا الشمالية حسب هذا الرأي ممرًا يؤدي إلى النمسا، وكان هدفه في تلك الحرب إلحاق الهزيمة بمقاطعة بيدمونت الإيطالية أضعف الحلفاء في بادئ الأمر ثم الالتفاف إلى النمسا عدوته الكبرى.

أما في المعركة التي احتل بها بونابرت إيطاليا بكل سهولة فترجع إلى استراتيجيته في



الحفاظ على مرونة قواته وقدرتها، بأن قسمها إلى مجموعات متباعدة، ولكنها قادرة على التجمع بسرعة في أي اتجاه.

تعتبر الحملة الروسية عام 1812 الذروة والنهاية الطبيعية لتطور الاستراتيجية لدى نابليون، ونلاحظ أن هذه الاستراتيجية كانت تعتمد على عامل العدد أكثر من اعتمادها على عامل الحركة، وعلى عامل الوضعية الاستراتيجية أكثر من اعتمادها على عنصر المفاجأة، مع العلم أن الظروف الجغرافية زادت نقاط الضعف في هذه الاستراتيجية.

فقد كان نابليون يحاول دفع عدوه للاشتباك مستغلاً تفوقه العسكري على الروس، لكن انتهت الحرب بانسحاب نابليون نتيجة لقسوة الطقس وهبوط معنويات الجيش الفرنسي بعد أن فقد استراتيجيته، وصار يبحث عن المعركة مع الجيش الروسي الذي يطبق استراتيجية تحاشي القتال، تلك الاستراتيجية التي كانت تهدف إلى تنفيذ ما يمكن تسميته السياسة العليا للهجوم غير المباشر.

الفصل التاسع

1854 - 1914

في عام 1851 بدأ عهد جديد في الصراع، وكانت أولى حروب هذه المرحلة غير حاسمة عسكريًا أو سياسيًا، ولكنها تنطوي على دروس سلبية نستنبطها من الصراع الأحمق في حرب القرم، وأهم هذه الدروس هي عقم الهجوم المباشر.

بينما أظهرت الحرب الأهلية الأمريكية 1861 - 1865 نتائج متناقضة مع حرب القرم وظهرت فيها استراتيجيات محلية.

وازداد هذ الاتجاه مع تطور السكك الحديدية التي أعطت الاستراتيجية إمكانيات أكبر في سرعة الحركة، إلا أن هذه السرعة لم تكن تتمتع بالمرونة التي تعتبر عاملاً رئيسيًا ثانيًا للحركة الحقيقة.

لقد كانت الحرب الأهلية أول حرب تلعب فيها السكك الحديدية دورًا هامًا لتأمين حركة النقل، لذا أدت شبكتها الصلبة إلى تثبيت الاستراتيجية على خطوط صلبة.

غدت الجيوش خلال هذا الصراع معتمدة تمامًا على السكة الحديدية، وزاد ارتباطها بها، وجعلتها تميل إلى التوغل بالعمق والابتعاد عن القواعد، وغدت الجيوش مرتبطة بالمحطات ومعتمدة في حياتها المادية على شريط رفيع سهل الكسر.

وكان هذا واضحًا في بداية الحرب الأهلية الأمريكية؛ فقد كانت جيوش الشمال معتمدة على حياة مادية تتسم بالرخاء، لذا كانت مهددة بالشلل أكثر من خصومها، وكانت جيوشها الموزعة في حقل العمليات في الغرب حسب مخططات شبكة السكك الحديدية تحت رحمة هجمات خيالة الجنوب التي يقودها قادة مثل فورست ومورجان، ووجد الشماليون في قائدهم شيرمان استراتيجيًا قادرًا على تشخيص أسباب العلة بإدراك يفوق إدراك معاصريه ومن جاؤوا بعده، إلى أن أتى مفكرو المدرسة الحديثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، والتي كانت نواة حرب الحركة الآلية.

استطاع العدو ضرب شيرمان عندما ضرب سككه الحديدية، ثم رد شيرمان الضربة فيما بعد بنفس الأسلوب بعد أن غطى نفسه، وأدرك أن من واجبه التخلص من خطوط مواصلاته الثابتة والاستقلال عنها إذا أراد الحصول على إمكانية المناورة الاستراتيجية دون التعرض لخطر الشلل.

كان تخلصه من السكك الحديدية يعني تخفيض حاجات الجيوش إلى الحد الأدنى، وتحرر من

تبعيته لمواصلات السكك الحديدية، وسار نحو الباب الخلفي للاتحاديين ليقطع خطوط تموين جيوشهم الرئيسية، وتجفيف جهاز إمدادهم من منابعه، وكانت النتيجة حاسمة بصورة مؤثرة.

إن الأساليب التي استخدمها شيرمان في عملياته تستحق دراسة عميقة؛ لأنه عزل نفسه عن قواعده عند تقدمه عبر كارولينا، كما استغنى عن جميع التجهيزات الزائدة حتى غدا جيشه قوة سريعة الحركة مؤلفة من وحدات خفيفة تعدادها 06 ألف رجل.

وكانت فيالقه الأربعة مستقلة عن بعضها، وتعمل معها مفارز من الخيالة التي تقوم بأعمال الاستطلاع والتدمير وبث الذعر، وتسير كستارة أمام جبهة التقدم، وعلى مجنبات الوحدات.

بالإضافة إلى أن شيرمان قد أدخل أثناء التقدم تحسينات في طريقته الاستراتيجية، ذلك أنه لم يكن قد نسي الضرر الذي لحقه في معركة أتلانتا من جراء توجهه نحو هدف جغرافي واحد، الأمر الذي سهل مهمة خصمه التي اقتصرت على وقف تهديد واحد، ولقد تدارك شيرمان -فيما بعد- هذا النقص بعبقريته وأوقع الخصم في شك دائم، وقد اختار شيرمان بالفعل خط هجوم يضع الاتحاديين دائمًا في شك وحيرة، ولا يعرفوا مقصده، وكان هو يختار وجهته خلال التنفيذ.

كان له هدف مفضل، ولكنه كان قادرًا على التوجه نحو الهدف الآخر إذا تطلب الموقف ذلك، وهكذا استطاع بفضل اتجاهه المخادع إلقاء الحيرة في نفوس أعدائه، بحيث لم يضطر مرة واحدة إلى التخلي عن الهدف الأصلي، وهو ما حسم النصر في النهاية.

هناك اختلاف متعدد النواحي بين الحرب الأهلية الأمريكية وبين الحربين الأوروبيتين اللتين وقعتا بعدها مباشرة.

ويعود الاختلاف الأول إلى استعداد كلا المعسكرين في عام 1866 وفي عام 1870 للقيام بالحرب على الأقل على الورق.

كما يعود الاختلاف الثاني إلى أن القوات المتحاربة في أوروبا كانت نظامية محترفة.
أما الاختلاف الثالث فهو ارتكاب القيادة العليا لكلا المعسكرين أخطاء فاحشة تفوق ما وقع في الحرب الأهلية الأمريكية.

ويعود الاختلاف الرابع إلى فقدان عنصري المهارة والفن في الاستراتيجية الألمانية خلال هاتين الحربين.

والاختلاف الخامس الأخير هو الحصول على نتائج سريعة رغم كل هذه العيوب.
كانت استراتيجية القائد الألماني مولتكه عبارة عن هجوم مباشر مع بعض الخدع، وكان

يعتمد على عامل الصدمة الناجم عن تجميع قوى متفوقة.

فهل يمكن اعتبار هذين الحربين بمثابة استثناء يؤيد القاعدة؟

لقد كانت غريبتين فعلاً، ولكنهما لا تؤثران على القاعدة التي حصلنا عليها بعد سلسلة طويلة من دراسة الحالات الواقعية، إذ ليس في هذه الحالات حالة واحدة اجتمع فيها ضعف الأفكار مع ضعف الإمكانيات لدى المغلوب بهذه الصورة التي أثرت على ميزان القوى.

في عام 1866 كانت إمكانيات النمساويين ضعيفة نظرًا لسوء تسليحهم، بينما تفوق البروسيون عليهم تسليحيًّا.

وفي عام 1870 كان ضعف الفرنسيين ناتجًا عن قلة عددهم وضعف تدريبهم العسكري.

إن هذه المعطيات كافية لتفسير هزيمة النمساويين النكراء في عام 1866، وهزيمة الفرنسيين عام 1870، وليس في العالم رجل عسكري استراتيجي واحد يستعد للحرب ويبني مخططاته مفترضًا ضعف العدو ماديًّا وفكريًّا.

كما أن الاستراتيجية الألمانية المباشرة في بدايتها انقلبت أثناء التنفيذ، وأصبحت غير مباشرة نسبيًّا، وأظهرت قدرًا كبيرًا من المرونة، ونجحت في تحقيق النصر.

الحرب الروسية اليابانية 1904 – 1905

كان القادة اليابانيون يقلدون القادة الألمان، ولهذا جاءت استراتيجيتهم على شكل استراتيجية هجوم مباشر، ولا نجد فيها محاولة فعلية للإفادة من اعتماد الروس على خط حديدي واحد يسير عبر سيبريا، لقد كان الجيش الروسي يتنفس بقصبة طويلة ضيقة بشكل لم يعرفه التاريخ العسكري من قبل.

وزادت أبعاد روسيا الشاسعة من صعوبة هذا التنفس، ولكن الاستراتيجيين اليابانيين تجاهلوا هذا ووجهوا ضرباتهم مباشرة نحو الجيش الروسي، وجمعوا قواتهم في جبهة أضيق من جبهة مولتكه عام 1870، لكن اليابنيين لم يكونوا يملكون جيشًا مستقلاً كما كان يملك مولتكه، كما لم توفر لهم الظروف طعمًا يجذب لهم عدوهم، أو قائدًا يبتلع الطعم كما حدث مع النمساويين والفرنسيين، كان اليابانيون يحلمون بالقيام بمعركة حاسمة، ولكنهم بدلاً من ذلك قاموا بمجموعة من المعارك الدامية غير الحاسمة، وكانت النتيجة إنهاك جيوشهم بعد المعركة الأخيرة غير الحاسمة، لدرجة دفعتهم إلى توقيع الصلح مع عدو لا يرغب في القتال، ولم يدفع في المعركة حتى ذلك الوقت سوى عشر قواته.

الفصل العاشر

استنتاجات مستنبطة
من دراسة خمسة وعشرين قرنًا

إن التحليل لبعض الحملات الحربية يوضح أن القادة لم يستخدموا الطريقة غير المباشرة كاستراتيجية أساسية، بل كحل أخير لا مناص منه، ولقد أعطتهم هذه الطريقة الحل المناسب في الوقت الذي فشل فيه الهجوم المباشر ووضعهم في موقف ضعيف نسبيًّا ولا يساعد تمامًا على تطبيق الاستراتيجية غير المباشرة، والحصول على نجاح حاسم في مثل هذه الظروف غير المواتية يتسم بأهمية خاصة.

ولقد أظهرت الدراسة أن عددًا كبيرًا من المعارك تتصف بهجوم غير مباشر واضح وضوح نتائجها الحاسمة، وهذا العدد الضخم من المعارك الحاسمة التي تتميز بقلة حالات الهجوم المباشر فيها يؤيد استنتاجنا بأن الهجوم غير المباشر هو الشكل الاستراتيجي الأفضل للوصول إلى الهدف.

ونستطيع استنباط استنتاجات أكثر دقة من دراسة التاريخ، ومنها أن القادة الذين كان النصر معقودًا بلوائهم، باستثناء الإسكندر المقدوني، لم يهاجموا أبدًا بصورة مباشرة عدوًّا متحصنًا في موقع قوي من الوجهة المادية أو الطبيعية.

وعندما كانت الظروف ترغمهم على القيام بالهجوم فإنهم كانوا يفشلون فشلاً يشوه قائمة انتصاراتهم.

والتاريخ يثبت أن القائد العظيم كان يترك الهجوم المباشر ليسلك سبيل الهجوم غير المباشر، مهما بلغت خطورته حتى لو اضطره الأمر إلى اجتياز الجبال أو الصحاري أو المستنقعات، مستخدمًا جانبًا صغيرًا من قواته فقط، وعازلاً نفسه إذا لزم الأمر عن خطوط مواصلاته، لقد كان يفضل مجابهة الظروف الطبيعية القاسية عن التعرض لخطر الفشل الكامن في كل هجوم مباشر.

وإذا نظرنا للمعارك بصورة أخرى لوجدنا أن المنتصر جذب خصمه في معظمها ووضعه

في موقع يضعف روحه المعنوية قبل الدخول في المعركة.

وإذا ربطنا التحليل الاستراتيجي بالتحليل التكتيكي وجدناها في أحد شكلين: أولهما: يتعلق باستراتيجية دفاع مرن، وتراجع مدروس يتوج بهجوم تكتيكي، وثانيهما: يتعلق باستراتيجية هجومية تهدف إلى اتخاذ موضع يفقد الخصم توازنه، وتتوج بدفاع تكتيكي مع توجيه ضربة إلى المؤخرة.

إن هاتين الصورتين هما من صور الهجوم غير المباشر وأساسهما النفسي يمكن التعبير عنه بكلمتي: "طعم" و"فخ".

كما يمكننا القول بشكل أوسع وأعمق بأن الدفاع هو شكل الاستراتيجية الأقوى والأكثر اقتصادًا، ومع أن الشكل الثاني الناجم عن الاستراتيجية الهجومية يتصف بصورة عامة بصفة المناورة الهجومية فإن له هدفًا مستورًا هو دفع العدو إلى القيام بحركة خاطئة لاستغلال قوته ذاتها كرافعة تساعد على سقوطه.

إن الهجوم غير المباشر في الاستراتيجية الهجومية عبارة عن حركة عسكرية وإدارية ضد هدف اقتصادي هو مركز تموين الدولة المعادية، أو مركز تموين جيشها، والهدف المنشود هو زعزعة أفكار ومواقع العدو، وهذه النتيجة هي حجر الزاوية في استراتيجية الهجوم غير المباشر.

وهناك استنتاج آخر مهم وهو ضرورة تجميع القوى عند الاشتباك مع عدة دول أو عدة جيوش ضد العدو الأضعف بدلاً من محاولة تدمير العدو الأقوى بدافع الفكرة القائلة بأن تدمير القوي يؤدي حتمًا إلى انهيار الآخرين.

يقول لينين معلقًا على استراتيجية الهجوم غير المباشر: "إن أفضل استراتيجية في الحرب تتمثل في تأجيل العمليات إلى أن يسمح لنا تفكك العدو المعنوي بتوجيه الضربة القاضية إليه بسهولة".

وليس هذا الأمر ممكنًا دائمًا لكن يمكن تعديله ليصبح كما يلي: "إن أفضل استراتيجية في الحرب تتمثل في تأجيل المعركة، وأفضل تكتيك هو تأجيل الهجوم وذلك إلى أن يسمح تفكك العدو المعنوي بتوجيه ضربة حاسمة له".



القسم الثاني

الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الأولى

الفصل الحادي عشر

المخططات ونتائجها
في مسرح العمليات الغربي في عام 1914

اقتصرت عمليات الحلفاء الأنجلو - الفرنسيين خلال سنوات الحرب التي تلت ذلك على محاولات متعددة للخروج من المأزق، وأصبحت الاستراتيجية على الجبهة الغربية أمام الخطوط اللامتناهية من الخنادق مجرد تابع للتكتيك، وكانت استراتيجية الحلفاء في سنوات 1917 - 9161 عبارة عن استراتيجية هجوم مباشر، ولكنها كانت عاجزة عن إخراجهم من المأزق، ولا تستحق كبير دراسة أو تحليل.

يعتبر هجوم الألمان على فردان هجومًا مباشرًا، لكنه أصيب بفشل ذريع، بسبب الدفاع الفرنسي القوي، ولقد كانت استراتيجية الألمان عدا معركة فردان دفاعية بحتة.

الفصل الثاني عشر

مسرح العمليات الشمالي - الشرقي

القصة الحقيقية في عام 1915 على الجبهة الشرقية عبارة عن صراع بين فكرتي قائدين كبيرين أولهما فكرة لودندروف التي تهدف إلى الحصول على النصر باستراتيجية الهجوم غير المباشر جغرافيًّا على الأقل، وثانيهما فكرة فالكنهاين التي تعتمد على توفير الوسائط الألمانية وشل قدرة روسيا الهجومية باستراتيجية الهجوم المباشر، واستطاع فالكنهاين فرض رأيه، لكن استراتيجيته عجزت عن عن تحقيق أي هدف من أهدافه المنشودة.

إن العمليات التي وقعت في 1916 - 1917 على الجبهة الروسية لا تستحق كثيرًا من التعليق، فقد كانت دفاعية من جهة الألمان والنمساويين وهجومية بشكل مباشر من قبل الروس، وتظهر هذه العمليات فقر الاستراتيجية المعتمدة على تطبيق القوة بهجوم مباشر وتأثيرها المعنوي الذي يشبه تأثير سلاح يرتد إلى صدر صاحبه.

وعندما اندلعت الثورة في عام 1917 وعجلت بانهيار مقاومة روسيا القيصرية دون جدوى، حطمت الرغبة في القتال لدى الشعب الروسي الذي كان يتمتع بروح تضحية لا مثيل لها في أوروبا كلها.

كان هجوم بروسيلوف قرب لوك في حزيران 1916 العملية الوحيدة غير المباشرة التي قام بها الروس، وسببت تأثيرًا كبيرًا عندما وقعت صدفة على دفاع نمساوي غير مستعد، وسببت وقوع 20 ألف نمساوي في الأسر خلال ثلاثة أيام.

ولقد كان لهذه الصدمة المفاجئة نتائج استراتيجية متعددة، إذ إنها أوقفت الهجوم النمساوي في إيطاليا، وأجبرت فالكنهاين على سحب وحدات من الجبهة الغربية والتخلي عن معركة الإنهاك في فيردان، ودفعت رومانيا إلى الدخول في الحرب ضد ألمانيا وحلفائها، وسببت سقوط فالنكهاين وتعيين هندنبورغ ولودندروف مكانه، وكان سبب عزله هو فشل استراتيجيته المباشرة الضيقة الأهداف والأبعاد في عام 1915، والتي أدت إلى تجدد تماسك الروس وظهورهم على مسرح العمل من جديد عام 1916.

لكن نتائج تقدم بروسيلوف لم تدم طويلاً؛ إذ دفعت القيادة الروسية إلى تركيز ثقلها على خط مقاومة واحد يقوى مع الزمن يؤدي إلى استنزاف القوى المهاجمة، وهكذا أضاع الروس معظم قواتهم الاحتياطية دون جدوى، وترك بروسيلوف على أرض المعركة مليون رجل، وكان إصلاح الخسائر ممكنًا رغم فداحتها، ولكن انكشاف إفلاس القادة الفكري أمام الجنود أدى إلى انهيار معنويات القوات العسكرية الروسية.

واستغل الألمان ذلك الموقف للقيام بهجوم غير مباشر آخر مع تبديل سريع في الهدف؛ لسحق رومانيا.



الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

مسرح العمليات في الجنوب الشرقي أو في البحر الأبيض المتوسط

في عام 1917 كانت إيطاليا هدف القيادة الألمانية ومسرح عملياتها خلال الخريف، وكان شكل الجبهة ملائمًا لقيام الألمان بهجوم غير مباشر من الوجهة الجغرافية والمادية، وغير ملائم لقيام أعدائهم بمثل هذا الهجوم.

لم يكن أمام إيطاليا سوى القيام بهجوم غير مباشر على النمسا، واستمرت إيطاليا في هجومها المباشر مدة سنتين ونصف، وفشلت جيوشها في 11 معركة، ولم تتقدم عن نقاط إطلاقها رغم تكبدها خسائر قوامها مليون و100 ألف رجل مقابل 650 ألف رجل فقدتهم النمسا.

حقل العمليات في فلسطين وما بين النهرين:

لا يمكننا إدخال الحملات في الشرق ضمن هذه الدراسة؛ لأنها كانت بعيدة عن مسرح العمليات الرئيسي بحيث لا تستطيع القيام بتأثير استراتيجي حاسم، وإذا اعتبرناها عمليات مشاغلة استراتيجية وجدناها تمتص عددًا من القوات البريطانية، يزيد عما وضعه العدو لمجابهته.

ويمكننا أن نقر هنا بوجود النتيجة السياسية؛ لأن بريطانيا عدلت من قبل بشكل مستمر هزائم حلفائها في القارة الأوروبية باحتلال مواضع العدو فيما وراء البحار، وتشكل هذه العمليات أوراقًا رابحة في مباحثات الصلح، إذا كان الموقف في حقل العمليات الرئيسية سيئًا أو غير ملائم، كما أنها تبعث الحماس في نفوس المقاتلين طوال مدة الصراع.
كما جرت في الصحراء الشرقية والجنوبية عمليات غريبة ساعدت على إضعاف القوات التركية، وسلطت الأضواء على استراتيجية خاصة للهجوم غير المباشر، وهذه العمليات هي الثورة العربية التي نشبت بمساعدة لورانس.

ويمكن اعتبارها في مجموعها من عمليات حرب العصابات التي تعتبر بطبيعتها من



أعمال الهجوم غير المباشر، ولكن استراتيجيتها المدروسة علميًّا كان لها تأثيرها الأكيد على الحرب العادية.

كانت هذه العمليات صورة صادقة للهجوم غير المباشر، لذا نراها تؤدي إلى نتائج فعالة قليلة التكاليف ضمن حدود إمكانياتها البسيطة، كما كان العرب أكثر حركة وأقل تحملاً للخسائر من الجيوش النظامية.

وكان العرب يتحاشون القتال في الظروف التي يسعى إليه فيها أي جيش عادي، وكانوا يبحثون عن تدمير عتاد العدو في النقاط غير المحروسة بدلاً من محاولة تدمير قوات العدو كما تفعل عادة الجيوش التقليدية، وذهبت استراتيجية لورانس إلى أبعد من ذلك فلم يحاول طرد العدو بقطع التموين عنه، بل حاول تثبيته في موقعه بالسماح لكمية قليلة من التموين بالوصول إليه، بصور يزداد معها ضعف العدو المادي والمعنوي كلما طال بقاؤه. ولو قام لورانس بهجمات جدية قوية لاضطر العدو إلى التجمع مما يسهل على العدو مشكلتي التموين والحيطة، لكنه فضل القيام بوخزات ترغم العدو على بعثرة قواته.

أدت هذه الاستراتيجية إلى شل حركة الجيش التركي المنتشر على طول الخط الحديدي في الحجاز، وقام اللنبي بضربة حاسمة في فلسطين لعبت فيها القوات العربية دورًا هامًّا، وانهارت القوات التركية الرئيسية انهيارًا تامًّا.



الفصل الرابع عشر

الاستراتيجية في عام 1918

يؤدي العجز غالبًا إلى فقدان الأمل، ويؤكد التاريخ أن للأمل أثرًا أكبر من فقدان الرجال، ولا يمكن لأي مؤرخ تجاهل قيمة التأثير المباشر الذي أصاب الشعب الألماني بسبب حالة نصف الجوع التي كان يعاني منها، وكيف أدى ذلك إلى انهيار الجبهة الداخلية، فإذا ما تركنا موضوع تأثير الثورة على الفشل العسكري وبالعكس، وجدنا أن عامل الحصار قد تدخل جديًّا في كل التقديرات العسكرية.

وكان الخطر الكامن في الحصار سببًا من الأسباب التي دفعت الألمان إلى أول هجوم بالغواصات في فبراير 1915، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى إلغاء اتفاقية لندن وتقوية الحصار بإيقاف وتفتيش كل السفن التي تعتقد أنها تقوم بتموين ألمانيا، وبعد عامين دفعت الأزمة الاقتصادية الناتجة عن الحصار القادة العسكريين الألمان إلى مضاعفة حرب الغواصات. وكانت بريطانيا تعتمد على البحر لتموين شعبها وجيشها، وهذه في الحقيقة نقطة ضعفها، وكان هجوم الغواصات الألمانية على مواصلاتها البحرية بمثابة هجوم غير مباشر على مستوى الاستراتيجية العليا، وله نتائج محتملة حاسمة، ورغم بعض أخطاء الألمان وجدت بريطانيا نفسها في وضع حرج فعلاً، ولم يكن عند بريطانيا آنذاك من المؤن ما يكفيها إلا لمدة ستة أسابيع فقط.

كانت آمال القادة الألمان كبيرة في الحصول على النصر عن طريق الضغط الاقتصادي ضد بريطانيا، فلما فشل هذا الضغط بدأوا يشعرون بالخوف من وقوع انهيار اقتصادي في بلادهم، إذا ما طبق العدو ضدهم هذا النوع من الضغط.

وتحققت مخاوفهم بزيادة ضغط الحصار عليهم، وزاد من حدته دخول الأمريكان إلى المعركة واستخدامها السلاح الاقتصادي، الذي انقلب إلى خنق دائم تراخت ألمانيا بسببه باستمرار؛ لأن القوة العسكرية تقوم على الوضع الاقتصادي، وهذه حقيقة هامة يتجاهلها الكثيرون.

زاد الحصار وشعر الألمان وحلفاؤهم به بشكل مرير، فاضطروا للقيام بمحاولة يخلصون منها أنفسهم من انهيار اقتصادي محقق، وكانت هذه المحاولة عبارة عن هجوم عسكري

قاموا به في عام 1918، وما إن فشل هذا الهجوم حتى بدت الكارثة بشكل مفجع.

إن الحصار البحري والتأثير المعنوي المتزايد الناجم عنه هو بمثابة هجوم غير مباشر في مجال الاستراتيجية العليا ضد شعب قاسى بسببه الجوع وفقد الأمل، مما أدى في النهاية إلى استسلام الحكومة الألمانية.

وفي 3 نوفمبر قررت تركيا والنمسا الاستسلام مما جعل باب ألمانيا الخلفي مفتوحًا، واشتعلت الثورة في ألمانيا وانتشرت في طول البلاد وعرضها، واتسع نطاقها بسبب طول أمد المفاوضات، واستلم السلطة الزعيم الاشتراكي أيبرت ووقع شروط الصلح في 11 نوفمبر. يمكن اعتبار الحصار من أسباب نصر الحلفاء؛ لأنه خنق الاقتصاد الألماني وعجل بالثورة الشعبية، كما أن المجهود الذي قام به الحلفاء يعتبر عاملاً أساسيًّا في التعجيل باستسلام ألمانيا والحيلولة دون امتداد الحرب حتى عام 1919، ولا يعني هذا أن القوات الألمانية كانت عند توقيع الهدنة محطمة بصورة حاسمة، إن دراسة الوثائق المتعلقة بآخر مائة يوم تؤكد أن هدف الحرب الحقيقي هو روح قادة الأعداء لا أجساد جنودهم، وأن الهزيمة والنصر يتقرران تحت الضغط المعنوي وبصورة غير مباشرة تحت تأثير الضربات المادية.

ولم يهتز لودندورف في الواقع أمام خسارة الرجال أو المدافع والأرض قدر اهتزازه عند وقوع المفاجأة وشعوره بالعجز عن صد حركة استراتيجية محتملة.

القسم الثالث

الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية

الفصل الخامس عشر

استراتيجية هتلر

إن الحملات التي قام بها هتلر قبل وبعد نشوب الحرب عام 1939 تبرز بوضوح أهمية الطريقة التي شرحت في الأجزاء السابقة، فقد قدم هتلر في المرحلة الأولى أبعادًا جديدة لاستراتيجية الهجوم غير المباشر من الناحيتين النفسية والمادية، وعلى الصعيدين المدني والعسكري، لكنه أتاح بعد ذلك لأعدائه فرصًا كثيرة ليستخدموا ضده مثل هذا النوع من الهجوم.

يقتضي المنطق والعقل خلال الحرب عدم الإقلال من شأن العدو، ومعرفة طريقة عمله وأسلوب تفكيره، وهذا أساس كل عمل جدي يهدف إلى التكهن بأعماله ومناوراته واعتراض سبيلها.

إن من مصلحة كل دولة أن يكون في إداراتها قسم للعدو مهمته الاهتمام بكل قضايا الحرب ودراسة مشاكلها من وجهة النظر المعادية، وتوقع نوايا العدو ومخططاته مقدمًا على أساس منطقي.

ولا شك أن المؤرخين سيصابون في المستقبل بدهشة كبيرة عند دراسة أسباب عجز دول الحلفاء عن معرفة أهداف هتلر؛ لأن التاريخ لم يعرف رجلاً طموحًا مثله كشف بكل وضوح طريقته الخاصة وتسلسل تنفيذها للوصول إلى هدفه.

لقد كشف بنفسه أفكاره بكل جلاء مما يثبت أن نجاحه لم يكن وليد الصدفة أو استغلال الظروف، وهو ما يكشف كيف أن الصراحة التامة قد تكون أفضل طريقة للمحافظة على السر، وأن الهجوم المباشر يكون في بعض الحالات أقل توقعًا من غيره، وأن فن السرية يعتمد في كثير من الأحيان على التحدث بصراحة تامة في عدد كبير من الموضوعات بشكل يبعد الشك عن بعض الأمور الأخرى الهامة فعلاً.

لقد درس هتلر طرق الثورة البلشفية واستفاد منها، ثم تعمق في هذه الدراسة واستخدمها على نطاق واسع، واقتبس حكمة لينين القائلة: إن الاستراتيجية السليمة تقوم على تأخير

العمليات حتى تنهار معنويات العدو بشكل يسمح بتوجيه ضربة قاضية له، وخرج منها بقوله: تبدأ الحرب الحقيقة قبل بدء العمليات الحربية.

أوضح هتلر نظريته قائلاً: إن الناس لم يلجأوا إلى القتل إلا عندما عجزوا عن الحصول على هدفهم بطريقة أخرى، توجد استراتيجية أوسع تقودها أسلحة فكرية، فهل أحطم معنويات العدو بوسائط عسكرية إذا كنت أستطيع ذلك بوسائط أخرى أفضل وأقل نفقة، كما يقول: إن استراتيجيتنا تقوم على أساس تدمير العدو من الداخل وقهره بتحطيم معنوياته.

إن الاستراتيجي البارع يعمل على شل العدو وليس على قتله، إن قتل جندي من جنود العدو، يعني إنقاص عدد الأعداء واحدًا، أما تحطيم معنوياته فيعني بذر بذور الخوف والهلع بين زملائه، وإذا طبقنا هذه الفكرة على مستوى أعلى وجدنا أن إضعاف روح القائد المعنوية يعطل فاعلية وحداته بشكل ملحوظ، أما على المستوى الاستراتيجي، فيكفي التأثير النفسي على حكومة بلد ما لتجميده كل وسائل الحرب في مصادرها.

إن تحليل الحرب يوضح أن قوة كل دولة تنبع من تماسكها الداخلي واستقرار أجهزة قيادته، وحالته المعنوية، وموارده الاقتصادية، ويؤدي الضغط المباشر إلى زيادة مقاومة العدو، ولكن الهجوم غير المباشر في الاستراتيجية هو أفضل السبل لقلب توزان العدو المادي والنفسي بشكل يسهل عملية تدميره.

إن هدف الاستراتيجية الحقيقي هو تفتيت مقاومة العدو، ومن هنا جاء المبدأ القائل بضرورة تحديد أهداف تبادلية بغية الوصول إلى الهدف المعين، بحيث لا يهدد الهجوم أحد الأهداف إلا إذا كان قادرًا على التحول نحو هدف آخر.

عرف هتلر هذه الحقائق الاستراتيجية التي تخفى على كثير من العسكريين، وطبق هذه الاستراتيجية النفسية خلال حملته التي مهدت له السبيل لحكم ألمانيا، وما إن أصبح سيد ألمانيا في عام 1933 حتى أعطى لهذه الطريقة أبعادًا جديدة واسعة؛ فقد أعلن رفض القيود المفروضة على تسليح ألمانيا حسب معاهدة فرساي، وبدأ حربًا خفية في إسبانيا حيث اشترك مع إيطاليا في مساعدة فرانكو على قلب حكومة الجمهورية الإسبانية، وأدى هذا الهجوم غير المباشر على مؤخرة فرنسا وبريطانيا الاستراتيجية إلى اضطراب في التوازن على مستوى الاستراتيجية العليا؛ لأنه أضعف موقفهما في الغرب في الوقت الذي عزز فيه هتلر جناحه الغربي بتحصين منطقة الرين، وأصبح قادرًا على الالتفات إلى الشرق ليقوم



بمناورات كانت نتائجها البعيدة بمثابة ضربات غير مباشرة لاستراتيجية الدول الغربية. استرد هتلر إقليم السوديت، واحتل تشيكوسلوفاكيا التي شل حركتها من قبل، وهدد بذلك مجنبة بولونيا.

وهكذا حطم هتلر السيطرة الفرنسية في أوروبا الوسطى، وفك الحصار الاستراتيجي المضروب حول ألمانيا، وقلب الوضع إلى مصلحته، وذلك بفضل سلسلة من المناروات السلمية دون سفك دماء، تحت ستار من الدعاية البارعة والتي تهدف إلى إقناع الرأي العام العالمي بشرعية أعماله.

كان هتلر يعتمد في سياسته على ضرب البلاد المنعزلة أو الضعيفة بصورة مفاجئة، وبشكل يلقي عبء الهجوم الأكبر على عاتق العدو نفسه، وكان يحترم القوة الدفاعية الحديثة، ويؤمن بها أكثر مما يؤمن بها الرجال العسكريون في دول الحلفاء، ولقد سنحت له الفرصة للعمل دون صعوبات كبيرة، فدفعته استراتيجيته إلى عقد حلف مع روسيا لضمان حيادها، وما إن تم عقد الحلف حتى أصبح مستعدًا تمامًا.

فإذا أعلن الحلفاء الحرب ضده فسيجدون أنهم فقدوا ميزات الدفاع، واندفعوا مرغمين في استراتيجية هجومية غير ملائمة وإمكانيات غير كافية، وإذا وقفوا أمام خط سيجفريد عاجزين ظهر ضعفهم وضاعت هيبتهم، وإن تابعوا هجومهم زادت خسائرهم وضعف أملهم في مقاومة الهجوم الألماني الذي سيتجه نحو الغرب بعد تأمين الجبهة الشرقية.

ولم يكن أمام الحلفاء للخلاص من هذا المأزق سوى استخدام سياسة العقاب والحصار الاقتصادي والسياسي، بالإضافة إلى مد الدول المعتدى عليها بالسلاح.

وافق هتلر خلال الشهور الأولى للحرب على حياد النرويج، ولكن عندما أظهر الحلفاء بشكل سافر أنهم عازمون على مراقبة المياه والموانئ النرويجية، قام باحتلال النرويج.

امتازت المعركة في الغرب بتجنب القيادة الألمانية كل انقضاض مباشر، وباستخدام الهجوم غير المباشر باستمرار رغم تفوقها في الوسائط الهجومية الحديثة.

لم يحاول هتلر اختراق خط ماجينو، لكنه تظاهر بهجوم مشاغلة مخادع على هولندا وبلجيكا، فنجح في إخراج الحلفاء من مواقعهم الدفاعية على الحدود البلجيكية، وجذبهم للسير ناحيته، ولم يتعرض سلاح الطيران الألماني لهذه الحركة وتركهم يتقدمون، فما إن توغلوا في بلجيكا حتى هاجمهم من الخلف، وضرب جناح الهجوم الفرنسي المكشوف،

وفهمت القيادة الألمانية بسرعة أن الحصول على نصر سريع يعتمد على استخدام القوات الميكانيكية أكثر من اعتماده على الكتل البشرية.

كان هتلر يعتمد على الأنصار الموالين له في البلاد المعادية؛ ليمهدوا له الطريق ويساعدوه على بلوغ هدفه بإضعاف مقاومة البلاد وتوزيع جهودها مع إعداد حكومة جديدة ممالئة جاهزة لاستلام الحكم، ولم يكن يعتمد على المال في إيجاد العملاء في الطبقة الحاكمة في الدول التي يحتلها قدر اعتماده على إثارة الطموح الشخصي وتنمية الرغبة في السلطة.

وكان يفتح الطريق في الوقت الملائم بعناصر تتسرب عبر الحدود قبل بدء الحرب تحت ستار التجارة أو السياحة أو متنكرة بلباس العدو العسكري إذا لزم الأمر، وكان دور هذه العناصر تخريب المواصلات وبث الذعر بنشر الشائعات الكاذبة وخطف زعماء البلاد إذا أمكن، ثم يبدل هذه العناصر الاستطلاعية بعد ذلك ويرسل وحدات محمولة جوًّا.

يتساءل كثيرون هل كان التفوق العسكري الألماني كافيًا لدفع فرنسا إلى الانهيار، دون حاجة لتفكيك وحدتها الوطنية سياسيًّا ومعنويًّا؟

والجواب على ذلك: أن القوة تستطيع أن تسيطر على قوة أخرى إذا تفوقت عليها في مجال القيمة النوعية أو الجرأة، ولكنها تبقى عاجزة عن التغلب على الأفكار؛ لأنها غير ملموسة ومتغلغلة بعمق في النفس البشرية بشكل يؤرق أجفان أنصار القوة المجردة.

لقد أدخل هتلر أساليب جديدة في فن الهجوم الاستراتيجي حتى تفوق على جميع خصومه في المرحلة الأولى من الاستراتيجية العليا، لكنه أخطأ في فهم المخطط الأعلى للاستراتيجية العليا، ذلك المخطط المتعلق بالإدارة العامة للحرب، والذي يهتم -أيضًا- بحالة السلم التي لابد أن تعقب الحرب.

لقد أدت محاولة الألمان لإثبات قوة هجماتهم إلى إضعاف مقاومتهم في مجالات أخرى، استراتيجية واقتصادية ومعنوية؛ إذ أشاعت جيوشهم المنتشرة في طول أوروبا وعرضها البؤس دون أن تحقق السلام، فبذرت بذلك بذور حقد انطلقت منها المقاومة ضد الأيديولوجية التي يبشرون بها، وشعرت وحداتهم بآثار هذا الحقد باحتكاكها مع الشعوب المحتلة فتأثرت من جراء ذلك، وضعفت عندها جذوة الحماس الحربي، وهكذا أعطى هتلر بتوسيع رقعة هجومه الفرصة لأعدائه الباقين ليناضلوا ويتفوقوا عليه في النهاية.

الفصل السادس عشر

طريق النصر الذي سار فيه هتلر

يعتبر احتلال الألمان لبولونيا عام 1939 واجتياحهم أوروبا الغربية في عام 0491 مثلاً رائعًا في التاريخ العسكري على قيمة نظرية الحرب السريعة الآلية.

إن هذه النظرية وضعت في إنجلترا ثم استخدمها الألمان بفضل جهود الجنرال جودريان مؤسس الجيش المدرع الألماني، هذا السلاح الخطير الذي كان ثورة في فن الحرب، وعاملاً على تعديل مجرى التاريخ وتغيير خارطة أوروبا، وإعادة توزيع القوى في العالم بعد هزيمة ألمانيا بين أمريكا والاتحاد السوفيتي.

يدل تحليل العمليات التي تمت في الغرب على أن الجيش الآلي الحديث كان عاجزًا عن الانتصار بمثل هذه السهولة لو لم يستخدم استراتيجية الهجوم غير المباشر، وكانت التأثيرات في الواقع متبادلة؛ لأن مرونة الوحدات الآلية وقدرتها على الحركة أعطيتا الهجوم غير المباشر قدرة أكبر وإمكانيات متزايدة.

بعد انتهاء عملية بولونيا أعطى هتلر أوامره الأولية للهجوم على الغرب، كان لدى هتلر في ذلك الوقت من القوة والعتاد ما يسمح له بالتغلب على فرنسا، لكن قادة الجيش الألماني كانوا يرون أن من الحكمة اتخاذ إما موقف الدفاع إلى أن تتجه فرنسا وبريطانيا بالتدريج نحو السلم، أو القيام بهجوم يدفع الحلفاء إلى القيام بتدابير يردون عليها بهجوم مضاد.
لكن هتلر رفض كل الاعتراضات وحدد تاريخ الهجوم في الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر، وتكللت جهوده باحتلال فرنسا وهولندا وبلجيكا.

قام هتلر بمحاولة للتمهيد لغزو بريطانيا، ولكن هذه المحاولات جاءت متأخرة، وكانت عروض هتلر لعقد الصلح غير مشجعة، ولما حاول تحقيق السيطرة الجوية فوق البحر باءت محاولاته بالفشل في معركة بريطانيا.

الفصل السابع عشر

أفول نجم هتلر

في نهاية شهر يونيو 1940 كانت ألمانيا تسيطر على كل أوروبا الغربية والوسطى والجنوبية والشرقية باستثناء الجزر البريطانية في الطرف الغربي لأوروبا، وبالإضافة إلى هذه العقبة القائمة خلف البحر كانت روسيا السوفياتية تشكل ظلاً قاتمًا على مجنبته الشمالية الشرقية، وكانت انتصارات هتلر الباهرة حينئذ تؤهله للسيطرة على أوروبا أو على العالم أجمع.

لقد أفل نجم هتلر على مستوى الاستراتيجية العليا؛ لأن أخطاءه القاتلة كانت على هذا المستوى، لقد كان هجومه السياسي مباشرًا أكثر مما يجب، وفشل في إقناع الشعوب المحتلة بأن النظام الجديد سيكون مفيدًا لها.

لقد استخدم كلمتي الوطن والاشتراكية بكثرة، ولكن تطرفه في العصبية الوطنية، أزال الحسنة التي تحملها كلمة الاشتراكية بين جماهير الشعب في البلاد الأخرى.
استدار هتلر نحو روسيا، ويعتبر هذا القرار الخطير الذي كان سبب دماره تخليه عن الهجوم غير المباشر في حقل الاستراتيجية العليا.

استخدم الألمان في بداية غزو روسيا عمليات هجوم غير مباشر، فحصلوا على نتائج باهرة كان الفضل يرجع في بعضها إلى الظروف الجغرافية الملائمة.

لكن بعد حصول الألمان على الانتصارات في البداية بدأوا يفقدون الميزات التي كسبوها بسبب عجزهم عن اتخاذ القرار الملائم حول الاتجاه الذي ينبغي اتباعه لاستغلال انتصاراتهم الأولى.

كان هتلر يعتبر لينينغراد هدفًا جوهريًّا يسمح له بدعم مجنبته على بحر البلطيق وفنلندا، ويعتبر موسكو هدفًا أقل قيمة، كما كان يرغب في احتلال مراكز الثروة الزراعية في أوكرانيا والمنطقة الصناعية في حوض الدينبير الأسفل، وكان الهدفان متعارضين، ويتطلب كل منهما خطًّا عمليًّا مستقلاً تمامًا، مما جعل القوات الألمانية تفتقد إلى حرية المناورة على خط واحد لعمليات مركزية تسمح بتهديد أو مهاجمة أهداف أخرى بصورة متناوبة.

يقول الكثيرون: إن فشل الألمان في معارك 1941 يرجع إلى أسباب مادية، فقد كانت



إمكانياتهم مبعثرة على محاور جهد متباعدة بسبب اختلاف أعضاء القيادة فكريًّا، وبسبب الانتصارات التي تم الحصول عليها في بادئ الأمر على مختلف الاتجاهات.

ولم يحتفظ الألمان بخط عمليات واحد يسمح باحتلال أهداف متعاقبة، بل اضطروا إلى الاحتفاظ بخطوط عمل مختلفة يؤدي كل منها إلى هدف واحد يستطيع المدافعون الروس تغطيته بسهولة، وكان اتجاه الهجوم في كل مرة معروفًا من قبل الروس، فما إن تنطلق القوات الألمانية المهاجمة من عقالها حتى يحدد الروس وهم في أماكنهم خطوط مواصلاتها المقبلة.

قام الروس بهجومهم المضاد وكان الألمان في حالة تجعلهم معرضين للهزيمة سواء على الصعيد المعنوي أو في المجال الاستراتيجي، وكان رد الروس غير مباشر ماديًّا، وأدى إلى نتائج حاسمة، وقد استفاد الروس من الصدمة التي وجهوها ضد قطاعات تدافع عنها وحدات ألمانية وإيطالية، وأدى ذلك إلى عزل وحدات كبيرة من الجيوش الألمانية وسقط في الأسر لأول مرة عدد كبير من قوات هتلر.
ولما وجد الروس الباب مفتوحًا أمامهم استثمروا هذا النصر وقاموا بسلسلة من الضربات نحو الجنوب لتهديد مؤخرات الجيوش الألمانية في القوقاز وطرق مواصلاتها.

في الشمال الإفريقي خاض رومل معارك عديدة، ولكن نقص التموين وقلة الإمدادات تسببت في خسائر فادحة انسحب رومل على إثرها، ويعتبر انسحاب جيش رومل في إفريقيا من العلمين إلى تونس مسافة ألفي ميل تقريبًا أعظم عمل من نوعه في التاريخ العسكري. ويدل هذا على الإمكانيات الكبيرة للدفاع الحديث المطبق جيدًا، كما تدل عمليات الهجوم على المؤخرات على أن النجاح في الهجوم يتطلب أشياء كثيرة أخرى غير الهجوم الجغرافي المناسب.

إن سرعة انسحاب رومل ابتداء من وادي العكاريت ونجاحه في إحباط هجمات الحلفاء أعطت القيادة الألمانية فرصة كافية لإجلاء جيوشها نحو صقلية لو أنها حصلت على موافقة بذلك.

الفصل الثامن عشر

سقوط هتلر

فقد الألمان بعد كارثة ستالينغراد والانسحاب من القوقاز كل أمل في إحراز نصر حاسم على الروس، ودلت التجربة على أن هناك حدودًا لا يمكن تجاوزها عند تنفيذ استراتيجية هجومية في مساحات غير محدودة.

أجمع كافة الاستراتيجيين الألمان على أن استخدام مخطط دفاع مرن أمر ملائم لإنهاك روسيا وتحطيم إرادتها القتالية، لما يتيحه من فرص ملائمة للقيام بهجمات معاكسة تستطيع تغيير الموقف، لكن تشبع هتلر بالروح الهجومية جعله يصم أذنيه عن سماع هذه الآراء، ولذلك رفض الانسحاب بقواته للخلف قليلاً.

بعد انهيار إيطاليا تعرضت ألمانيا لهجمات قوية كان الهدف منها تدمير القوة الصناعية الألمانية، ويمكن اعتباره هجومًا غير مباشر على مستوى الاستراتيجية العليا، لقد خرب هذا الهجوم في الواقع توازن إنتاج وسائل الحرب بصورة عامة.

تناقصت القوى الألمانية بشكل كبير وتزايدت خسارتها للمعارك وتقلصت الأراضي التي كانت تسيطر عليها، وكان على القوات الألمانية أن تتحمل خسائر كبيرة لتطبيق خطة الدفاع الصلب الذي كان هتلر يصر على تطبيقها متناقضًا تناقضًا كبيرًا مع الطرق الهجومية البارعة المرنة التي استخدمها قبل أن تسكره خمرة النصر.

كانت الهزيمة، ودمرت ألمانيا نفسها عندما ذهبت إلى مكان بعيد، ولولا ابتعادها عن قواعدها لوجد أعداؤها صعوبة أكبر في التغلب عليها، ولقد أعطى هجومها المباشر لتحقيق النصر حلاً غير مباشر للحلفاء لتحقيق الهدف ذاته، وأتاحت متاعبها وتوسعها الزائد الفرصة للحلفاء لكي يختصروا مدة الحرب.

القسم الرابع

أسس الاستراتيجية والاستراتيجية العليا

الفصل التاسع عشر

نظرية الاستراتيجية

يمكننا أن نعطي تعريفًا مختصرًا للاستراتيجية بقولنا: "هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة".

إذ إن الاستراتيجية لا تعتمد على حركة الجيوش فحسب، ولكنها تعتمد -أيضًا- على نتائج هذه الحركات، وعندما يؤدي استخدام واسطة الحرب إلى معركة حقيقة فإن الاستعدادت التي تتخذ لإعداد مثل هذا العمل وتنفيذه تشكل ما يسمى التكتيك، ويمكن الفصل بين الاستراتيجية والتكتيك نظريًّا أثناء الحديث، بينما يتعذر ذلك في الأمثلة العملية؛ نظرًا لتشابكهما وتأثير كل واحد منهما على الآخر.

الاستراتيجية العليا

إذا كان التكتيك هو تطبيق الاستراتيجية على مستوى أدنى، فإن الاستراتيجية نفسها هي تطبيق الاستراتيجية العليا على مستوى أدنى.

ويمكن التفريق بينهما وبين السياسة الأساسية التي تحدد هدف الحرب، ويستخدم تعبير الاستراتيجية العليا لشرح فكرة السياسة خلال التنفيذ، وإيضاح أن دورها الحقيقي هو توجيه وتنسيق كل إمكانيات البلاد أو أعضاء الحلف بغية الحصول على الهدف السياسي للحرب.

إن الاستراتيجية العليا يجب عليها أن تقدر وتضاعف الإمكانيات الاقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتلة، علاوة على دعم القوى المعنوية.

إن مدى الاستراتيجية محدود بالحرب، ولكن الاستراتيجية العليا تنظر إلى ما وراء الحرب

ونحو السلم الذي سيعقبها، وعليها أن تنظم استخدامها بغية تلافي ما يؤذي السلم المقبل الذي يجب أن يكون ثابتًا ويحقق حياة أفضل.

يتوقف نجاح الاستراتيجية قبل كل شيء على التقدير السليم للوسيلة والغاية وتحقيق تناسقهما، ويجب أن تكون الغاية متناسبة مع كافة الإمكانيات.

يمكن الحصول على التفوق الاستراتيجي بالوصول إلى نتيجة حاسمة دون القيام بمعارك ضارية، وهناك حالات تم فيها تدمير القوات المسلحة المعادية بطريقة اقتصادية، وذلك بتجريدها من سلاحها بعد استسلامها.

العمل الاستراتيجي

كيف يتم تحقيق التفتيت الاستراتيجي؟

يمكن الوصول إلى هذه النتيجة في الحقل المادي أو الإداري نتيجة حركة:

- تسبب اضطراب تشكيلة العدو وتجبره على إجراء تبديل مفاجئ في جبهته، وتحطم توزيع وتنظيم قواته.

- تقسم قوات العدو.

- تهدد خطوط تموينه.

- تهدد الطريق أو الطرقات التي يستطيع منها القيام بتراجع نحو قاعدته أو إلى موطنه الأصلي.

من الضروري لمنع العدو من تغيير اتجاهه القيام بحركة مشاغلة أو أكثر قبل القيام بحركة التدمير الرئيسية، وذلك بقصد تشتيت انتباه العدو وحرمانه من حرية العمل، على أن تتم هذه المشاغلة في المجالين المادي والمعنوي؛ ليتشتت انتباهه ويتم مفاجأته، مما يفقده الثقة وعامل التركيز.

عند مهاجمة العدو من الضروري إيجاد أهداف متناوبة عند محاولة احتلال هدف ما؛ لأنه إذا عرف العدو على وجه التحقيق النقطة التي اخترتها كهدف تمكنه من أن يأخذ حذره ويخلق وسائل المقاومة المناسبة.

أما إذا وقع الاختيار على محور جهد يهدد أهدافًا متناوبة، فإنه يمكن مشاغلة العدو وخداع أفكاره ووسائطه، وهذه أفضل طريقة لمشاغلة العدو؛ لأنها تسمح بالمحافظة على

أكثر القوات المهاجمة جاهزة للعمل على خط العمليات الحقيقي، وتحقق أكبر تجمع ممكن في الوقت الذي تكون فيه قوات العدو مبعثرة.

أفضل موقع يتم فيه قطع مواصلات العدو وتهديده هو المكان القريب للجيش، وإن تم قرب القاعدة كان التأثير ضخمًا، ويزداد التأثير في الحالتين إذا كان العدو متحركًا، بينما تنقص التأثيرات إذا كان العدو متمركزًا في مواقعه.

الفصل العشرون

جوهر الاستراتيجية والتكتيك

يمكن إيجاز مبادئ الحرب في كلمة واحدة هي "التجمع" أو بصورة أدق: تجمع القوة ضد الضعف.

تجمع قواتك وتبعثر قوات العدو يقوي موقفك ويضعف من موقف العدو، ويجب أن تتحاشى إعطاء العدو الزمن والحرية ليجتمع ضدنا، ولفهم هذا المبدأ الأساسي واستخدامه عمليًّا **يمكن شرحه بثمانية مبادئ علمية وهي:**

- طابقوا الهدف مع الإمكانيات؛ لأنه من الحماقة أن نرغب في أشياء لا نستطيع صنعها، وتبدأ الحكمة العسكرية عندما يستطيع المرء رؤية ما هو ممكن.

- احتفظوا دائمًا بالهدف ماثلاً أمامكم، مع مطابقة مخططاتكم على الظروف، واعرفوا أن هناك أكثر من طريق للوصول إلى الهدف، ولكن خذوا حذركم؛ لأن كل هدف وسيط يؤثر على الهدف الأصلي.

- اختاروا الخط الأقل توقعًا، حاولوا أن تضعوا أنفسكم دائمًا مكان العدو، وفكروا كما لو كنتم في صفوفه لتقدروا الأشياء التي لا يتوقعها.

- استثمروا خط المقاومة الأضعف ما دام قادرًا على إيصالكم إلى هدف يؤدي احتلاله إلى الوصول للهدف العام.

- خذوا خط عمليات يؤدي إلى أهداف متناوبة، فتضعون عدوكم في حيرة تامة.

- راعوا المرونة سواء في المخطط أو التشكيلة بحيث يتلاءمان مع الظروف.

- لا تلقوا بكل إمكانياتكم في عمل إذا كان عدوكم محترسًا؛ لأنه حينئذ يكون مستعدًّا لصد هذه الصفعة أو تحاشيها.

- لا تجددوا الهجوم على نفس الخط أو بنفس الشكل بعد أن فشل في المرة الأولى.

تدل هذه المبادئ على أنه ينبغي لتحقيق النصر حل مشكلتين هامتين هما: تفتيت قوات العدو، ثم استثمار هذا العمل.

- ومن المتعذر عليكم ضرب العدو بشكل فعال قبل أن تمهدوا لذلك بخلق ظروف ملائمة لتحقيق هذا العمل.



الفصل الواحد والعشرون

الهدف الوطني والهدف العسكري

ينبغي ألا ننسى الفرق بين الهدف السياسي والهدف العسكري المختلفين عن بعضهما رغم ارتباط أحدهما بالآخر، وليس الهدف العسكري سوى وسيلة لخدمة غاية سياسية، ولكن يجب أن تتطلب السياسة هدفًا عسكريًّا يمكن الوصول إليه عمليًّا.

إن غاية الحرب هي تحقيق السلم في ظروف أفضل، لذا يجب قيادة الحرب مع التفكير في السلم الذي سيعقبها.

والتاريخ يثبت أن الحصول على نصر عسكري لا يعني الوصول إلى الغاية السياسية، ولكن تفكير العسكريين الدائم في الحرب دفعهم إلى نسيان الهدف الوطني الأساسي ورؤيته من خلال الهدف العسكري فقط.



هدية العدد ٢١ من مجلة كلمة حق ابريل ٢٠١٩